ديوان

مزامير من مملكة سبأ

بقلم

عبد الله الأسد

ديوان شعر من إصدارات دار النافذة
مونتريال كندا ٢٠١٦م



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسـم الكتاب : مزامير من مملكة سبأ

المــــؤلف : عبد الله الأسد

رقـم الإيداع : ٢٩٥٢ / ٢٠١٧

الترقيم الدولي: ٥ - ٥٥ - ٦٥٦٥ ٩٧٧ - ٩٧٨

الطبعة الأولى ٢٠١٦



القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل
ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ - ٢٧٨٧٧٥٧٤



الإهداء

نهدي هذه المزامير إلى إخوتنا الأثيوبيين، الـذين سحرونا بحسن أدبهـم وجمـال خلقهـم وأخلاقهـم، أشعرونا أننا منهم وهم منا.

وبكل حميمية وحب إهداء خاص، للسيدة « سـبا كاسا» التي نظمت زيارتنا الجماعية لأثيوبيـا حيـث احتفلنا باليوبيل الذهبي لتخرجنا من جامعة «وارسو» بجمهورية بولندا. مع توقيع كل من:

مهندس - بابكر مصطفى

مهندس معماري - جاك أشخانس

دكتور - حسن عبيد

دكتور مهندس - علم عبدالباقي

دكتور - نكولا عبد السيد.

مهندس - عبدالله الأسد

عرفان وإهداء خاص لشـقيقي وأسـتاذي ومعلمـي الأول ، وعميد أسرة الأسداب الأستاذ «مصطفى محمد سعيد الأسد» معلم الأجيال في مدارس السودان عنـدما كان التعليم والمعلم من مقدسات الدولة.

Dedication

Sincerely dedicate this poem to our Ethiopian brothers who overwhelmed us by their high morals and beauty of their culture and generosity. They made us to feel, we are from them and they are from us.

Special dedication with love to: Mrs. "Saba Gebremedhin Kassa" who made it possible for us to visit Ethiopia, where we celebrated our Golden Jubilee graduation from Warsaw University, Republic of Poland. Signed by:

Engineer - Babiker Mustafa

Engineer Architect - Jack Ashkhans

Dr.sphycat - Hassan Obeid

Dr. Engineer Alam Abdelbagi

Dr. Nicola Abdel seed

Engineer - Abdalla Asad

تنويه

عن تاريخ أثيوبيا وملكة سبأ «بلقيس»

أوضحت الباحثة فى فلسفة التاريخ
داليا سعد الدين - جامعة القاهرة

الأسطورة الرئيسية في الكتاب المقدس مصدرها ديني، إذ ذكرتها الكتب المقدسة، لقاء «سليمان بن داوود ملك إسرائيل بملكة سبأ، غير أن الكتاب الإثيوبي هنا قد جعلها ملكة إثيوبية، وأن الملك «سليمان» قد تزوجها وأنجب منها ولدًا دعاه «منليك»، الذى من نسله تسلسل كل ملوك إثيوبيا، كما أن الأسطورة تسوى في بعض الأحيان بين «يسوع المسيح» نفسه و«منليك بن سليمان»، إذ تظهره في صورة بالغة القداسة فهو الذى يشبه أباه تمامًا، كما أنه ممثل مملكة «داوود» الأرضية المتمثلة في عرش إثيوبيا في مقابل مملكة «داوود» السماوية، التي على رأسها «يسوع المسيح».

كما يؤكد الكتاب أن «منليك الأول» حين زار أباه في

«أورشليم» قد قام بسرقة «التابوت المقدس» ومعه اثنا عشر كاهنًا، ويجب هنا ملاحظة أن عدد الكهنة الذين أسس بهم «منليك الأول» مملكته؛ إذ هو نفس عدد الأسباط الذين يتكون منهم «شعب الله المختار»، وهو الشعب اليهودي بنى إسرائيل الأول من ناحية، كما أنهم نفس عدد تلاميذ «السيد المسيح» عليه السلام، فللعدد هنا قدسية خاصة، فمن القضاة أسس «داوود» مملكته الأرضية، ومن أبنائهم أسس «منليك الأول» مملكته أيضا.

ومما ذكر في العهد القديم أن « التابوت المقدس» قد اختفى بالفعل في عهد «سليمان» الملك، وهذا هو المدخل الذى بنيت عليه الأسطورة الإثيوبية، وما ذكر في العهد القديم يقول إن «التابوت» مسكن الرب، فهو المكان الذى كان يكلم من خلاله بنى إسرائيل، والرواية الإثيوبية أكدت أن «التابوت» حين تمت سرقته كان يطير في اتجاه إثيوبيا، وعليه فإن الرب قد غادر «أورشليم» لأنها لم تحفظ وصاياه وعهده، واختار الإثيوبيين دون الأمم لأنهم أقبلوا عليه، ووفقًا لذلك فقد أصبحوا هم «شعب الله المختار».

المزمار الأول:

بلقيس الأسطوري المقدس ملكة سبأ الأسطورية

سمعت الروعة من مزمارك في أكسوم

ومنه عرفت السيرة من تاريخك يا بلقيس

فسافرت إليك بحُلم المشتاق

وهروب الروح من الخرطوم

سحروني أحفادُك في مزمار الإصحاح الأول

وتركت اليأس ورائي ولعنت الزمن المشؤوم

وجئت لكي أطفئ في جوفي لهب النار

لأنسى الهم الجاثم في صدري ليلًا ونهار

عيونُك نادتني من عمق تواريخ الأعراق

من صحراء العتمور ومجاري الأنهار

وجدتك يا بلقيس جمالًا مُتَّقدًا

من صنع إلهٍ مقتدر جبار

وجدتك رمزًا يستأنس حولك شعب الله المختار

في وسط بحيرة «تانا» من قبل الميلاد

ونجمة داوود كانت في وجهك إصرار

في عمق بحيرات العشق اغتسلت بالألوان

سحرتني صورة وجهك

في ألواح سليمان

ووصايا موسى العشرة، وآياتِ القرآن

وبصمة خاتم حبٍّ في يدك اليسرى

من ذهَب البجراوية

في صوتك ناشدني مزمار من مروى

ومواكب عرس ملكية

غنت أنشاد أغانٍ توراتية

تراتيلًا من غير حدود

عرَّيتِ ساقك جهرًا في قلب سليمان وقود

وحرقتِ الكهنة أصحاب الأخدود

تأوَّه صدرك في ليلة شبَق محموم

وكان الهدهد في المحراب شهود

وجاء ملوك يهوذا بالألواح

وكل ملوك النيل اصطفوا

من حولك للفيضان سدود

وأنا من خلف الباب الملكي المسدود

صرخت... صرخت

وكنت أنادي... يا بلقيس... احتشمي

احتشمي... من عين نبي الله سليمان

وابتعدي عن رقصة لحن

غناها الأسباط وفلاش ويهود

رقصة حائط مبكٍ في الليل من التلمود

غناها بجنون في تلك الليلة داوود

وصرخت مرارًا... ابتعدي... ابتعدي

يا بلقيس... النسوة حول سليمان

وقميص سليمان مقدود

وأمام الهيكل حول الصخرة جان وجنود

منعوني دخول المحراب إليك

أعترف بأن جمالك أغواني من دون حدود

إلى أين؟!! وهذا الغنج الأسطوري أمامي

إلى أين أغادر يا بلقيس؟ أعود؟!!

وأمامي السحرة فوق بلاط سليمان

وهذا الهدهد في حجرة نومك سهران

هل أخبرك الهدهد أني أبحث عنك

وأحلم أن ألقاك على مركب شمسٍ

بنهر النيل عيان؟

توضأت بماء التقديس

وسد النهضة من حولي ملآن

ليعيد المجد لكل هضاب التاريخ

واسمك يا بلقيس لقد عاد الآن

من أين سنبدأ صحف الأنباء؟!!

وظباء الأمهره عدن بأسورة الذهب الحمراء

في يوم الميلاد بتاريخ ملوك الأنهار

وتاريخ العذراء

وتباريح صباح يبدؤني بكل الأشياء

أسرجت إليك بساط الريح

ما بين السحب المنسية

وكان حضوري إليك مساء

هل عرشك كان جدار القدس

أم كان مقامًا في جبل التوحيد بغار حراء؟!!

هل كان بشاطئ «أواسا» من فوق الماء؟!!

ونجيمات «أرومو» الملكية عزفت

حولك مزمار الحب غناء

وسليمان يقبل جبهتك القدسية

نورًا من شمس الله وهجير الصحراء

برضاك الله يبارك منبع نهر النيل

ويبارك فيك كتاب التوراة الأول والإنجيل

وجاءت حتشبسوت بعود الصندل منك وبالإكليل

واللغة «المسمارية» تحكي عن «أبرهة»

وهدم الكعبة وأصحاب الفيل

وجاء القرآن وقال:

﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي

وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وصرخت أنادي... خدعوك السحرة... يا بلقيس السمراء

لا تمشي على صرح قوارير

لا تحسبي بأن اللُّجة ماء

لا تكشفي عن ساقيك

لا تُسلمي يا بلقيس

سليمان أمامك بخمر التلمود توضأ

لا ترضي تقديم العهد

لكنك يا بلقيس سفَّهت كلامي

نمتِ بين يديه بدون عناء!!!

فاقتسم العرش بنو إسرائيل مع «منليك»

وأرسلتِ الإنجيل إلى قصر الحمراء

يا للهول... بخور الصندل كان يلقنك الأسماء

وأسود يهوذا وقفوا من حولك صخرةٌ صماء

أين التابوت المسروق و«لوسي»؟!!

أين الصخرة والهيكل والجان

وأين عصاة سليمان؟!!

يختلط التاريخ علينا وأساطير الأزمان

وبحيرة «تانا» تستمع لكل مزامير الأرض الآن

و«منليك» بعرش النجمة والخاتم فرحان

بربك يا بلقيس... هل حقًّا كان

أبو «منليك» سليمان؟!!

المزمار الثاني:

في بحيرة «تانا»

ولهي كجوف الأرض أبدًا

ما ارتوى يومًا... ولا الترياق زاد

من أي نافذة أراك تداعب الأغصان

تنتهك الورود براعمًا قبل الحصاد؟!!

يا صاحب المزمار والألوان والأنهار أطربني هنا

احقِن وريدي لحظة التكوين

من قصص الهضاب

الليل ناء بكلكلٍ والشمع ذاب

لنا الأمطار والرعد المزمجر وعده

قدنا الحضارة والصدارة في الهضاب

فأنا أقود حضارة النيلين نهراً لا أقَاد

مهلًا حبيبي لا تكن

في لحظة الإيقاع من تاريخنا

بالليل تنوي الابتعاد

«إرما» المدينة شُيدت بحصونها ذات العماد

السيسبان غصونه مخضرَّة

مالت على أفق الكواكب امتداد

وأنا كنجم السعد قلبي في غصونك قد أشاد

عش الأساطير القديمة

والتلاقي والتسامح والوداد

أسكن هضابي آمنا

ودونما أي ارتعاد

أفلا شعرت اليوم دونك

أنني قد كنت طيفًا في خيال العمر لينًا

وأنت مثل السيف حاد

أفلا رأيت بكاملي أحنو

على وهج الصليب كما يريد وما أراد؟

أنا مَن أفاض النيل حولك مشربًا

ويدي عليك بوشمها ماءً وزاد

وخضابها بالأمهرية منزلٌ من عهد عاد

جاءت ثمودٌ بعدهم

بسيوفها وعتادها فوق الجياد

ماء القداسة حولهم وتكاثروا في كل واد

بلقيس خاتمها الذي في إصبعي

وحزامها الذهبي طوَّق خاصري وقت الحصاد

واخضرَّ فيها السيسبان غصونه مزدانةٌ

والعهد عاد

يا زورق الأحلام اعبر من ضفاف بحيرتي

الورد ينبت في هضابي وفي ازدياد

زركشت ثوبي في حضورك

من ليالي شهر زاد

ورقصت بين يديك مزمار الهوى

بالأمهرية والتسامي والمحبة في الفؤاد

بالصندل المحروق جمرًا واتقاد

وغدًا أزورك في المساء بلا ميعاد

أنا مَن خلقت مواكب التاريخ وقوم عاد

ودفقت نهر النيل حولك ترتوي قبل الحصاد

والورد غنَّى هامسًا مزماره

وظلاله من حولنا وأرائكٌ ومعابدٌ

ومراقصٌ ومضاجعٌ لمن أراد

لمن البحار تعجُّ بالأمواج والألحان

تسهر ثم ترقص

في لهيب الجاز طبلًا صاخبًا

بالليل جاد؟

لمن الورود الباسمات المنصتات

لهمسنا رغم الضجيج بيومنا والصبح عاد؟

حضني إليك قد استعاد

ذكرانا في كتبي وآيات الميعاد

وكلانا ينتظر الشراب معتَّقًا

وتجمع الأضواء

حول كؤوسنا قمرًا

حباه الوجدُ عمقًا واستناد

من أنت؟ في الدرب المسافر مسرعًا

قالوا بأنك يا حبيبي سندباد

أمعنت في الأسفار بالسجاد تبحر في السماء

وتارةً في الماء وتارةً فوق الجياد

حط الرحال... فلا رحيل لعاشقٍ

لو أنت جاد؟!!

ادخل مجاهل زينتي

ادخل... إليَّ وضمني

في الكأسِ سرٌّ للهوى قبل المراد

المزمار الثالث:

في بحيرة «أواسا»

بنيت الجسر الخشبي

لعل بروحي تسري في الليل

بحيرة «أواسا» ومدينتها امتدت في أرض

في الألواح محبتنا كُتبت مزمارًا واحدًا

وعبرت التاريخ بدون كتاب أحمله

وقرأتك في شط الأحلام بهمس

جزيرة هذا الورد تحيط بنا

أسترِقُ السمع إليك

من عند سماء الله

تبعثر وردي في ليل العشاق

أتيت إليك بشغفٍ عملاق

وكأس الأيام على الأحباب دهاق

المزراب والإنشاد والألحان على اتٍّساق

سافرتُ فوق مجاهلٍ ومعي رفاق

سرا هطول الليل

في الإسراء أمطاري بدت سُحب طباق

كن لي يا حبيبي محورًا

لأطوف حولك

مثل أجنحة البُراق

هذا شتاء الدفء بين يديك

كل مجاهلي ومداخلي

وقفت تعجُّ صهيلها وطبولها وجيادها

قدمًا وساق

عطري إليك مهربًا

أرسلته في وردةٍ

فأمسك به كي لا يُراق

العشق همس بالورود

وعطرها لغة اشتياق

لطفًا حبيبي بوردتي...

بمشاعري،

فالدرب شاق



المزمار الرابع:

«بتي الجميلة»

شعري تبعثر في رياح تأملي

خُصَلٌ تدلت

فوق صدري ثم خصري وأرجلي

عطرٌ نسائمه انتشت من نهرها

شوقًا يدغدغ في مشاعر داخلي

رن الصليب مع احتكاك سلاسلي

والشوق لامَس كالرضيع

مع العناق جدائلي

كانت كأمطار الشتاء وزمجرت

برعودها وبروقها

سحبٌ تلاقت في سماء دواخلي

لغة الهوى قد أفصحت مكنونها رمزية

وتلعثمت لغة الكلام

حروفها بدواخلي

عطري الذي غذَّيته من خاطري

وغطاؤه وأريجه وهروبه بأناملي

كُتبت عليه شهادتي الأولى

ومنك مدادها

كلقاء قيس في الخيال بطيفها

لا ممعنًا هربًا بناقة وصله، ولا بمكملِ

لا شيء في كل الوجود

يؤجِّج همستي الأولى يثير مجاهلي

يا من وهبت إليك روض الملتقى

وترددي وتحسري وتأملي

أوقدت في التلمود وهَج حبيبتي

بلقيس جاءت في قداسة هيكلي

وارتد طرفك من نبي زارها

جلست تذكره سيوفا أشهرت

حشدت جياد جيوشها وقبائلي

أحرقت روحي من لهيب الشوق مسكوبًا

على جسدي وعمق تحولي

بالأمهرية في ترنم لهجتي

قلبي انتشى فيك احتراقًا

من ضفاف بحيرتي ومناهلي

صدقت كل الشعر

في الألواح ما حررتهِ ما قلته

وأشك أنك يا حبيبي قد فهمت تنازلي

زهر البنفسج منك استنشقته

من وردة الوادي المقدس حولنا

رجعت مع الأصداء رنة خلخلي

وكشفت في وهج المغيب مجاهلي

يا وردة الأسحار أين مقامنا؟

أين الليالي والنجوم تحيطنا

وأين منك محبتي وتأملي؟

سطرت أحرف رغبتي

مكتوبة برموزها

بلقيس كشفت ساقها

تيجانها وقصورها وجنودها

في القدس تحمل هيكلي

معزوفة النيل المخلد أنشدت مزمارها

بالهمسة الأولى

إليك أسوقها عقدًا تناثر

في هضاب تدللي

وهنا بحيرتنا المدى

ماء يزف الخير يجري في عروقي مسرعًا

ذهب المعز خزائن في منزلي

مزمار داوود ورقص سقاته

ليوضح التاريخ فيك تداخلي

«سقط النصيف ولم أرد إسقاطه»

أفلا رأيت مع النصيف دواخلي؟!!

يا أرض أمي قد شهدتِ قداستي

إني نزلت على الثرية من علٍ

ووسادة دونت فيها تحولي

هي همستي الأولى

عليك تأرَّخت كتبي هنا

نسبي إليك فيه أصولنا

لون الملامح من نسيج أواصلي

كوشية في بعضها عبرية

مروي أنا ملكية

من تاج «أبرهةِ» في قرون حضارتي

ومعزتي وحصونها وتناسلي

«أكسوم» تشهد لو دخلت كنائسي

«قوندار» مجرى النيل

ماء مشاربي ومزارعي

فيها طهارة مغسلي

حلقاتنا الأولى غرام متيَّم

حقب من التاريخ

فيها النصر فيها تأصلي

أنساك كيف؟!

وقد أثرت مضاجعي

أنساك كيف؟...

وكيف أنسى رسائلي؟

زخرفتها بالليل بين أناملي

ودفاتر الذكرى ويوم تقبلي

أيقنت أنك بعد خوض معاركي

وعرفت أنك من صميم تخيلي

ما كنت أعلم فيك أصل شكيمتي

ما كنت أعلم أنك بالمحبة مبتلي

وكما أنا أبدًا بُليت محبةً

انس الوداع فلا تسافر مبعدًا

عين المحبة من دموعي تمتلي

فرس المعارك في القتال أمانة في أرضنا

سيف الرجال يعف عند المقتل

مهزومة أنا إن أردت قتلتني

ماذا أقول محبةً يا قاتلي؟!!!



المزمار الخامس:

«لوسي» في متحف التاريخ

الزمن انتقلت في جوف الأيام حقائبُه

وصلت الهضبة متقدًا دون كتاب

وكان بقلبي هذا الجسر العابر عشقًا بيني

وبينك تاريخ النيل الخالد

ووجهك نورٌ غطى

كل مساحات الحزن مكان

عاطفة الأرحام تجلت

وشعّت أنوار القلب

الصامت في زمن الأحزان

وتبادل ريح الغيب

رموز الماضي المجهول بقلبي

من عينيك الآن

وانحلت كل الشفرات المكتوبة عنك

والهمس الماضي والحاضر حان

تأرخت بوجهك من مولد حام

وفهمت معاني الكلمات المكتوبة

في التلمود وفي الإنجيل وفي القرآن

ومددت إلى الله قرابين فداك

وبضوء الصبح

الكامن في قلبي منذ قرون

ناديت سماء النسيان

ووجدت الكامن

في قلبي قد عاد لأصلي

فرحلت إليك في آخر نيسان

أتكلم كل لغات الماضي من

من مولد «لوسي» وبداية عصر الإنسان

والشفق يتابع مركبتي

والشمس تغيب بخلف هضاب الماضي

وصلت لأبحث عن شمسك

في لوحة أسفاري

منابع أصلي وملوك النيل

هل بدأ الله الخلق هنا يا «لوسي»

وأن الماء إله الصحراء

والنيل هو المحيي كل الأشياء

أبحث عنك في كل بحيرات التاريخ

بحيرة «أواسا» وبحيرة «تانا»

وكل بحيرات الهضبة

وأسأل عما فات

في أول ركن من بيتك يشهد قلبي

ومنك النظرات شموع

وأجمع في الليل أساطير حجاك

في سردية لوحات أرسمها وأتابعها

فتغيب الكتب الصفراء

وتبدأ رؤيتنا في قرص الكون

بعيدًا حيث يعيد التاريخ اللمسات

لا زال بوجهك يبتسم الماضي

ورؤاك تصلي في عمقي وطنًا

عيناك امتلأت من دون حدود

حب... أمل.. ومياه تجري من تاريخ واحد

بدأت أيامي ما بين يديك

فأين أنا من تاريخ الإنسان

بعيدٌ عن وطني

بعيدٌ جدًّا عنه الآن

أحضانك أضحت في عمقي أوطان

لوحات في متحف تاريخ الماضي

رحلت إليك لأخلع سردية تاريخ العرب الدامي

اخترتك من كل بقاع الأرض

فهناك الحزن يغلف قلبي

وطني يا «لوسي» أصبح شرعًا كالأوتاد

ويوم الحشر تأكد بين المطرقة والسندان مع الحداد

في وطني كل الأيام حداد

حاكم يبذر في قلب الناس الالحاد

حاكم يخجل من تاريخ السود الأجداد

حاكم باع الأرض واصبحنا الدخلاء

وطنى أصبح أشلاء

وتجمع سطر أخضر

من تاريخ المهجر

ذكرني وتجمعت الأجزاء

ونظرت بذاك السطر إلى كل الأسماء

عرفتني صفحات الماضي

عرفتني الأسماء

فعرفت بأن أصولي في عمقك

أشعلت مجاهل نفسي

من عينيك ضياء

فتبدلت الأوهام وكل الأشياء

أنخاب كؤوسي أشربها أفريقية

وحزمة نور اتجهت قوسًا

من وجهك في درب الأبديَّة

وأحاط النوار بأشجار الأجداد نخيلًا

وبالأزهار احتفلت

أوراق الخلد بألوان ورديَّة

وأنت هناك

والجنة من تحتك أنهار

تجري من كف الله بشائر

تنطلق البسمة من شفتيك

ويختلط اللحن بعصفور غنى

وتمتلىء الآفاق

على بُعد سماء الأمطار رعودًا

والبرق يشعُّ الأنوار

وأنادي... في الحلم الغامض

في نصف الليل.!! وأسمع أنَّة

وتناديني من خلف ستار حورية

والبسمة في عينيها وتذوب محنَّة



المزمار السادس:

«المتمة» الأثيوبية

«متمة» أجدادي سألتني

مَن أنت ومِن أين أتيت؟

وكان الله هناك

يطل علينا من سد النهضة

فرجعت أتابع سيرة ذاتي بين السنوات الهجرية

وكان النيل شهودي، وقلت لها:

ما كنت سليل رمال الربع الخالي

ولا من خيمة وبَر نصبت في الصحراء العربية

ولا من حد سيوف قتلت

ولا من تاريخ فتوحات إسلامية

ولا من رايات سوداء رفعت فوق رقاب عباد الله

ولست متاعًا من تاريخ العباس

ولا في خيمة شعر من أنساب قرشية

لا كان أبي منهم أصلًا عربيًّا

وبين يديه النيل بثروته ماء

ولا كانت أمي امرأة بدوية

ولا داست خيل «ابن أبي سرح» سور دياري فجرًا

ولا تعرفهم أهراماتي

ولا كنت مع الأزلام سبيًا

رايات «بعنخي» كانت راياتي

ورماة الحدق انتشروا حولي في المهد صبيًّا

صحفي كتبت من قبل الميلاد وعيسى

وقبل محمد كتبت تاريخ «البجراوية»

جاءوا... عربًا في غفلة تاريخ منسيَّة

قراصنة الصحراء

وجياع الربع الخالي

اجتاحوا حدود بلادي

أسرجوا داحس ليلًا

والغبراء صباحًا في حرب الثأر الساديَّة

في قطرة ماء عطشى

وسيوف الإسلام على الأعناق

غاروا علينا حفاة الصحراء

أحفاد بسوس الغجرية

ذقون وضلال تحمل أحقادًا وهابية

جاء الحجاج بناقته وأناخ هنا

بخناجر ابن أبيَّة

جاءوا عطشًا للنيل جوعًا

جلبوا الرعب ونشروا

تحت جذور النخل شريعة أحكام دموية

كسروا الأنهار اقتحموا بيوتًا آمنة

فجرًا زرعوا الفتنة بين شيوخ قبائل كانت

في تاريخ ملوك الوادي نوبية

مكروا، نهبوا، اغتصبوا مراهقة

كانت تحلم بالحب صبية

انتهكوا أعراض نساء

كانت في عقد منتظم في ستر محمية

هدموا المعبد جهرًا

حرقوا كتب التاريخ الأفريقية

وأيضًا مسحوا بصمات الأجداد

وبدلوا فيها البصمات المرويَّة

في ظهري وأمامي تكبيرٌ أسمعه

من كل الخلفاء ومن كل مُبشر بالجنة

وداعش أيضًا جاءت تحمل

من خلفي سكينًا دموية

تبًّا لا أعرفكم أبدًا يا قتلة

فأنا تاريخي معروف بحضارته

من قبل الكعبة مكتوب باللغة الكوشيَّة

من كان النجاشي؟!! أنسيتم؟!!!

كان كريمًا وأمينًا وأبيًّا

أذان بلال نادى لصلاة الفجر... لدينِ الإسلامِ

دينٌ سماه «عبدًا حبشيًّا»

يا سكان الربع الخالي

لا تربطني قطرة دم منكم أبدًا

يا مهزلة تاريخ قرون الماضي

قرونٌ جهلت معنى الإنسانية

أنا لست دخيل عباءتكم

ولا دمي عربيًّا

نهر النيل بعيد عنكم مشربه والماء

آبار النفط تجف قريبًا

وتعود خيام الربع الخالي

وماضي الصحراء

وقريبًا في هذا القرن يحاكمكم كل العالم

وتحاكمكم داحس والغبراء

المزمار السابع:

في منتجع «سودري» الأثيوبي

مدادُ رسالتي قد جفَّ قَبل ثوانٍ

دفقتُ فيها الليل

والأنوار والدمعات من أجفاني

مني عيونك يا حبيبة ليلتي

عزفت على عودي وقوس كماني

ضوء الصباح بأحرفٍ أطلقتها

نهرًا من الآهاتِ

والأفراح والأشجان

وخلطتُ تربةَ مهجتي مستأنسًا

بأريج قلبٍ ذاب في الخفقانِ

وزرعتُ فيها بالورودِ حديقةً

أبدية الأزهارِ والأغصان

ودعوتُ فيها بلابلًا

غنت لحبك أعذب الألحان

ظللتُها بأزاهير الأشواق والتحنان

والطيفُ قوسٌ جاء كالفنان

يشدو ويحملُ علبة الألوان

عيناك في الأفق البعيدِ

رأيتها بالشوقِ ينتظران

مدادُ رسالتي غيرته

وكذا غيرته عنواني

وتغيرت لغة الكلامِ

وأصبحت لغةُ الرموز معاني

وعرفت فيكِ محبة الإنسان للإنسان

لغةٌ يؤرقها البعاد مفرقًا

فيها فراق القلبِ للأوطان

بوقودها استنفرت

ضوء المحبة في سنًا وجداني

استنشقي طيبَ الرسالةِ

واتركي بقعَ الدموعِ

نزولها أشفاني

وودت أنك أن تكوني مكاني

وتلقني مر النسيم رسائلي

ملفوفة برقائق النعمانِ

في بركة المتوكلِ

ارتجلتُ قصائدي

شعر المحبةِ راسخ الأوزان

«ليلى» مع المجنون تحمل زهرها

وتجود من قبل السرور تهاني

سليلة الهضبات يا «تاجوج» لا عربيةً

عروجونةٌ حضرت من السودان

من «بحر دار» في الهضاب السمر أنت أصيلة

حملت من الإبداع في الأزمان

يا «أمهرية» في جمال حبيبتي

منذ الخليقة أنبتت في غابر الأزمان

«لوسي» هناك حقيقة

والله قد بدأ الخليقة هاهنا بحنان

«ابيا» وأزهار الربيع تفتحت

نبض الحياة مراتع الظبيان

أما أنا جودي على حبيبتي

في موطني أم درمان

المزمار الثامن :

إلى «أتون»

ناديت اسمك يا أتون

وليالي «أواسا» تعج بفرحة

السياح ترقص في جنون

تتكسرين على زنود المعجبين

الكأس والمزمار

والطبال حولك يرقصون

يا منشد الألحان

كيف تعيش من طرب المجون؟!

من أجبروك

إلى دروب الليل هم مجرمون

ظلوا وراءك يركضون

إني أصارحك الحقيقة يا أتون

أنا لست منهم

في حضورك يعبثون

وبما تجود أكفُّهم

من مال نحوك يدفعون

في بار أنس أحمر الألوان

ويحك يا أتون

من ليل تدنيس لعين

شوقًا لهمسك في دلال تطلبين

لكنَّ قلبي قد أحس وقد يكون

مرآة وجهك

من بيوت أفقرت عبر القرون

وبصدرك المتفجر

الآهات حزن صامت

وبدمعة محزونة

وقعت تداريها العيون

يخفيها رمشك من ضمير

الكون مثلك أُجبرت

بيع الهوى في حجرها

في صدرها في كل شبر

واستباحت ما تصون

الفقر كافر مثلنا

تجار حولك

نشتري الفقراء نحن السائحون

والفقر شيطان لعين

حظٌّ رماك بسهمِ سُمٍّ يا أتون

حظ رماك على شراك الشوك

في وسط الغصون

قد زوجوك لمن أراد بماله

عمر الربيع أشهى ما يكون

والآن أنت طليقة تلهو

والناس حولك يركضون

من قال مومس ظالم

ظلموك حقًّا يا أتون

المزمار التاسع:

إلى «راحيل» في مقهى أثيوبي أبو ظبي ٢٠٠٦

راحـــــــــــــيل

وجهك لا يزال أمامي

ويعيد طيفك من هضابٍ وثقت

تاريخ «ابرها» في الزمان السامي

حتى النجاشي وعدله في قومه

ملك تأصل من سلالة حامِ

في موكب التاريخ نال مكانه

ومضى بدهرٍ قد تبدل ثانِ

في موكب الهجرات

والفقر المذل لقد بدا

حر الخليج وشمس يوم حامِ

راحيل لا أنساك ذاك اليوم

أنهل فرحتي ومحبتي وهيامي

يا من زرعتِ القلب

وَرْدَ ربيعه

وسقيتِ بالفنجان

أرض غرامي

الحاضرون وأنسهم ومساءهم

شربوا بكفك قهوة الإلهام

راحيل يا شمس الضحى وسلامه

تتمايلين فرعًا واقفًا

أو جالس الكرسي بالهندامِ

للمعجبين تشع منك مباهجُ

وتوزعين بالبسمات ثغرًا سامِ

راحـــــــــيل يا ورد الربيع

حديقة شاعرٍ متمكن الترنيم بالتلمود

والألواح والأقلام

يا أم يوسف والنبوة بيتكم

وجمال يوسف من أصول آرامي

هل عِطر وردك

قد تسرب من هنا وقرأتِه

بالأمهرية في مقاهي ختامي

لو تدري يا راحيل

كيف كنت متيمًا وممزقا بغرامي؟؟

غنِّي بربك لي أنا

في جلسة بطقوسها

محمومة الفجان جمرٌ حامِ

صنعت عيونك للزبون سعادةً

وشقاك يفترس الدواخل من لظى الآلامِ

تبًّا على هذا الزمان

وقبحه وشقائه المتنامي

بجمال وجهك ينتهي وصفي هنا

ويضيع في نفط الخليج الدامي

ويظل رقمًا في الدفاتر عابرًا

ما بين حاسوب وكأس مُدامِ

من ينساك يا راحـــــــــيل؟؟

من ينسى الهوى؟؟

من ينسى في التلمود وجهًا سامِ؟!!

ومن ينساك يا راحيل في الصحيان والأحلام؟!!

حقًّا رأيتك في حياتي مرة

لكن وجهك لا يزال أمامي

لحظة فراق

وغدًا تغادر عالمي حرًّا طليقً

حتمًا ستنساني وتنسى قصتي

وتعود للحارات تبحث عن لصيق

وأتوه بعدك مثل ظلٍّ في الظلام بلا رفيق

جسدي أُلملم شمله

وسط المضاجع والمدامع والتحسر والشهيق

ولربما القَدر المُحق ينالني

ألم الفراق... فلا أفيق

لو استجرت بباب داري بعدها

حتمًا سيسألني الطريق

أين الذي بالأمس كان مرافقي؟!!

أين العشيق؟!!!

ماذا أقول إذا رحلت؟

وعالم الأمس الوسيع بشمسه

واليوم في أفقي يضيق

ماذا عن الأشجار تحت ظلالها؟

وجلوسي وحدي في الأريكة لا يليق

وحديقتي وورودها

والنحل يشكو لا يجد فيها الرحيق

ماذا أقول لعِشرة الأيام؟

والأيام أضحت لا تطيق

مثلي أنا... أنا لا أطيق

أهلي إذا سألوني عنك

وعن تعاملنا الرقيق

إذا سألوني عن أيامنا

عن عشّنا وعن المحب عن الانيق

إذا سألوني عن قلبي

وكيف أعيش بعدك بالفراق وبالعناء

هل أستخير برأيهم وأدق أبواب القضاء؟

هل أشتكي لله ربي في السماء؟

لا والف لاء

سأقول رأيي.واضحًا

الحب أكبر أن يحاسَب أو يحاكمه قضاء

الحب بيت في مداخله انتماء

الحب عشٌ طاهر فيه يجتمع الولاء

الحب نهر بين عطشان وماء

ماذا دهاني في محبة؟ من رماني في العراء؟

يا ظالمي وتركتني في لحظة وحدي

مع الأشباح يسكنني الفضاء

وحدي مع وعر الطريق لمن يشاء

يتمت قلبي لا مجير ولا أمومة لا آباء

ورميتني وكأنني يا قاتلي

كبش الفداء

ما عدت أبصر في أمامي خطوةً

ما عدت أسمع للنداء

ما عدت أحلم بالتسامي والتفاخر والهناء

ما عدت أشعر أنني أنثى

ولا محسوبةٌ بين النساء

خوفي يعذبني ويخنقني ويبعدني الفناء

دنياي ضاعت كلها وتناثرت

ومفاتني ذهبت هباء

لكنني لا استجير

رغم التحسر والتأسف والبكاء

يا ظالمي ... لن أستجير

لا أشتكيك إلى القضاء ولا السماء ولا مدير

سِرْ في طريقك إن أردت بلا محب او نصير

أما أنا... سأشدُّ أزري

وأجمع قوَّتي نحو المصير

وأصرُّ بعدك كيف أحبو أو أسير

أما الفراق وجرحه وعذابه

بيني وبينك يا غرير

إني سأتركه لشخصك كي يحاسبك الضمير

حكِّم ضميرك... علَّه... إن كان أصلًا

فيك بعضٌ من ضمير!



رسالتي إلى :

«بدور» في يوم العيد

والعيد عاد كغيره وبلا زهور

عام جديد يا حبيبتي يا بدور

عام يطل على الوجودِ

وعمرنا قد ضاع زور

تاهت خطانا مع وميض البرق

نرحل كالطيور

حتى الطيور لها ربوع في السماء

بلا حدود ولا جسور

وطليقة في العش والأشجار

موطن غصنها سكنت

فلا سجن هناك ولا شرطي مرور

ستون عامًا في بلادي يا بدور

ما زلنا ننتظر الخلاص لدربنا

ستون عامًا من ضياع العمر

في التاريخ جور

وقف الخيال تجمدت آفاقه

وتبعثرت أحلامه بين السطور

فعلمت أن قصائدي شاخت وجف الحبر

في ورقي وجفت

دمعة الأشواق في المنفى تدور

في غيبة الأنوار تختلط الأمور

يا صندل الأيام ننتظر البخور

بيدي احتضنتك من خيال الشعر حافي

بل حاسرًا من أي نور

هرب البخور

وتناثرت في كنهك الأبدي دور

حتى المداد تغيرت ألوانه

وتبدل القلم الذي كتب السطور

يا من بقلبي أين حضنك يا بدور؟

يا موكب الهجرات أين أنا؟!!

موج البحار وبيننا سدٌّ وسور

يا من صنعت بداخلي سفن العبور

أجد الموانئ فيك تمنعني الحضور

وسفينتي وَهْم على المرافئ يدور

غروب الشمس في خديك طور

يا من سكبتِ بداخلي نارًا ونور

آه من الأعماق أطلقها وأكتمه الشعور

فأنا بعيد في مدار الكون أبني مهجرًا

والنيل من تحتي يدور

هل نحن وَهْم في خيال الليل

همس يا بدور؟!!

أنا لا أصدق أننا رُوحين كنا

في رحاب الكون نفترش الزهور

وافترقنا ثم عدنا

وافترقنا يا بدور

وكذا انطوت من أمسنا

اللمسات والهمسات

والنجوى دهور

والعيد عاد كغيره وبلا زهور

حلما أراكِ حبيبتي

ويشدني بالضفتين بأرضنا طين الجذور

وبداية العام الجديد بدمعتي

أهدي سلامي لموطني أم درمان

مهدك يا بدور

الألفية الثالثة :

عند بوابة « أم درمان »

وضممتها أم درمان

مهد صباي نور حياتي

وبيدي اليمين رفعت أمامها راياتي

ورسمتها في حائط المنفى

جمال اللون في الإيقاع والبسمات

ووصفت كُنْهَ جمالها وأمانها بالشعر والكلمات

وجهٌ كنور الصبح جاء مهللًا

مثل النبي مبشرًّا بقدوم فجرٍ آتِ

سلمتها الأوراق عند الملتقى

وبصمت في وجناتها قبلاتي

والنيل شاهد بيعتي سمعي وطاعة حكمها

سلمتها كتبي وأوراقي وتاريخي ومستنداتي

قد راعني لما رأيت بوجهها مأساتي

نزلت دموع عيونها في أعيني

فبكت معي من شدة الحسرات

وخريطة الوطن الكبير تمزقت في حجرها

في كل شبر قد رأيت شتاتي

يا رحلة الوطن المهاجر في الضياع إلى متى؟!!

أين المصير أين طوق نجاتي؟

الدرب دهليز أمامك مقفلٌ

من يحكموكِ يا أم درمان هم أعداك

أنا كم ذكرتك في الغياب مسافرًا

في الريح والأبعاد والآهات

كم جاء طيفك في المنام يزورني

ويغيب عند الفجر من أوقاتي

يمتد في أفقي ويمسح خاطري

وكأنه طيف يصافح ذاتي

نعش من الإحباط والخذلان والعبرات

وطن النجوم أين غيرك انتمى

فالمهجر المشؤوم ذل حياتي

فلكم يسيطر في الليالي مخافتي

ولكم يسهد بالظنون سراتي

فأشد من أزري بذكرك واثقًا

كيف استعير السيف؟!

في وطن خيول جدوده

عبرت ضفاف النيل والفلوات

خاضوا غمار النصر من تاريخنا

بالرمح والبارود والرايات

اليوم زرتك صامدًا ومدججًا

والصافنات سروجها ودروعها وحياتي

فرسي تقدم قد أعاف لجامه

زبد على شفتيه كان يهاتِي

وأنا المتيم لا أموت وأنتهي

ومواكب الأحرار في السودان من صفحاتي

وبحوزتي مفتاح عشقي

يا له... ويشع بالأنوار كالمشكاة

وبه كتبت على الثرية أحرفًا

قد صغتها بالليل في المنفى ومن هجراتي

ونقشت في صخر المهاجر وحشتي

ووجدت نهر النيل في خطواتي

جودي مزامير الهوى بقصيدتي غني بها كلماتي

طال انتظاري يا حبيبة كم أنا

قد هدني جور الزمان العاتي

ما اخترت غيرك في المسيرة هاديًا

فإذا نسيت... فاغفري هفواتي

ألفية ختمت تواريخ الشعوب بفرحة

لكنها ختمت على وطني ببؤس حياتي

إلى مريم :

التي حكم عليها بالردة في السودان ٢٠١٥

مهما ازدرى السفهاء من تأويلهم

وذروا الرماد على العيون

من أين أنتم؟

يا أباطرة المشانق والمجازر والسجون

من أي قانون أبحتم شنقها حبلى؟!!

جاهلون منافقون ومرتشون

وعليك اللهم ظلوا يفترون

أكبرت فيك وأنت حبلى

ورفضتِ أي مساومة

وبأي دين يحكمون

من يصنع الأموات غير قلوبهم عميت؟!!

وتأبطوا الإرهاب في ماضي القرون

ومسيح هذا العصر ابنك إن أراد الله

أمره قد يكون

وغدًا يطل وجهك شامخًا

يهب الحياة وينزع الخوف

المعشش في الضلوع

ويدوي يصرخ في سماء الله

يقهر كذبة الزمن الخنوع

ويشع فكرك في المشارق

والمغارب والمساجد والربوع

وستخرجين كريمة الإصرار

في وجه المحاكم والمشانق

في قلوب الناس في وسط الجموع

يا مريم العذراء

أنجبتِ اليسوع

لا تبقى على الألواح بعدك ردةٌ

والله خيرنا ندين كما نشاء

فلا استتابة لا رجوع

من أي قرن نحن نعبد في بيوت الله

نصرخ في المنابر

في الجوامع في المآذن والنجوع

من أي قرن نحن

نسجد كاذبين بلا خشوع

ماذا جنينا في الحياة وحظنا

من نصف قرنٍ كاملٍ

موت وأشلاء وجوع

كل الصحابة

ليتهم في سجنك الفردي

قد وضعوا الشموع

وليت من وضعوك

في الأغلال وأنتِ حبلى

ليتهم... عرفوا

المحبة والتسامح والدموع

العصيان والطوفان

لشباب الوطن الصامد الذين نفذوا
العصيان المدني بنجاح لثلاثة أيام
٢٧-٢٨-٢٩ نوفمبر ٢٠١٦

بلد الصمود هنا العصيان والطوفان فوق سماكِ

صدق الرِّهان الحر بين شبابنا

عصيانهم وصمودهم ونجاحهم لحماكِ

رغم الطُّغاة ورغم أنفِ زعيمهم

رغم الوعيد ورغم سجن ضَناكِ

الشعبُ أقدر مَن يُعيد حياته

فكَّ القيود ودحَر من مسَّاكِ

منذ الحصار المُر حول بيوتنا

السلك شاك أمامنا ووراكِ

مهلًا عروسَ النيل مهلًا اصبري

ما عاش باغٍ فيكِ أو أغواكِ

فصَلُوا الجنوبَ تآمَّروا ولأنهم

فرضوا شريعتهم لسفك دماكِ

كذبًا باسم الدِّين داسُوا شبابنا

حكموا بجَلدكِ واستباحوا عراكِ

أرض الجزيرة أجدبت وأخالُها

تستجدي عَيش الخبز من أعداكِ

دارفور تغرق بالدماء رمالُها

والجنجويد يحرق ما بَنتْهُ يداكِ

غاب الخريف وكردفان تغيَّبت

أين التبلدي وأين صوت غناكِ

كافوري حصنٌ زائل وقصورُهم

من كَدِّ مسكينٍ ومال فداكِ

استرجعي الماضي وبابك مشرَع

طال انتظاري خلف باب فناكِ

ما انفكّت الإنقاذ وَثْبة واهم

وتخالف اللصانِ في مرساكِ

لصٌّ أراه منافقًا ومراوغا

بالدين والتشريع كم غشاكِ

لا يدري في التاريخ من يهواكِ

لا يدري قاموس الهوى تفكيره

لا يدري حب الناس حين تراكِ

من نخلة ماتت وكُفِّن جذعُها

من جيش جوع في الشوارع شاكِ

من سوط جلاد تَعفَّن إبطُه

دنس كرامةَ حرمةٍ في حماكِ

وإلى متى كذبٌ ووعدٌ زائف

تحيا بلادي وجُل من سواكِ

من أي دباباتهم وصلوا هنا

نيرانهم حرقت ثياب وفاكِ

ومدرعات بالدماء تخضَّبت

صاحت تكبِّر فوق ذبح ضناكِ

وخناجر ابن أبية خلفكِ أشهرت

قتلوا الحسين وعلقوا قتلاكِ

لله عمري في المنافي عالقًا

ولديَّ حلمٌ فيكِ لا ينساكِ

لا زال نهر النيل مَهْد حضارتي

وبكيت في المنفى الذي أبكاكِ

أبكيكِ في كل البيوت مآتمٌ

أبكي شبابًا مات من شهداكِ

أبكيكِ في أرض المنافي لعلها

دول الخليج وأصبحت منفاكِ

يا غربةَ الأشباح اني لا أضيع هنا؟!

ليلي تسهَّد في ليالي عناكِ

ما عاد يعرفني الطريق ولا أنا

بعيون شرطيٍّ أرى عيناكِ

ما عدت أعرفها الوجوه تغيرت

بحذاء قوم يسفكون دماكِ

من أين جاءوا هؤلاء تكلَّمي؟

من أي جُحر يزحفون وراكِ؟

لا تيأسي بلدي فنصرُك قادمٌ

ما دام قلبٌ في المنافي يراكِ

اسمٌ نراه على السماء مسطَّرٌ

وطنُ النجوم وعزَّةٌ في هواكِ

كم جار دهرٌ فيك من تاريخنا

ولَكَمْ تسلَّط ظالم ومكابر بسلاحه ورماكِ

سيعود يوم النصر ميمونًا هنا

وجحافل الثوار والعمال يوم لقاكِ

سيعود طيرُك في الربيع مغرِّدًا

سيعود سيف النصر من منفاكِ

وسنرمي حتمًا في الزبالة عهدهم

ويطلُّ فجرٌ ممسكٌ بيداكِ

همس النافذة:

بين رزان وجيلاني

خارج النص

كنت معي في البرد وفي الضياع...

وقد مضى زمن التكوين...

وها أنا بدأت أفقد الملامح؟؟؟

لربما في زحام الوجع

تركتها ونسيتها...

فالنسيان حالة قائمة

لا تعني تجردي منك

ولكنها تسكن

وجع رحيلك المضني...

وصورتك مع بروازها التي تركتها لي

ذاك المساء

حين كنت معي

ما زالت تشغل حيزًا أكبر مما تستحق

ما زالت تستقر بجوار قلبي المنهك من كبريائك المتمرد

وبين حين وآخر

تمارس صورتك اللعب

على مشاعري التواقة إليك

فيصبح شغفي بها وحشًا مفترسًا

يذوب في شرايين عاطفتي المتبلورة عليك...

لحظـــــــــــــــــــــــــــــــــــة

دع قلبي يستريح قليلًا

من ملاحقة ملامحك المتحجرة

تعال يا زجاجي القلب

ضع يدك هنا في منطقة الوجع

لا تتكلم في السر

افتح قلبك الموصد جيدًا

وأخرج شهقة فارغة تتألم؟؟؟؟؟

تنازل عن مدى الغياب

الذي ما زال يجرُّ الخيبة وراءه

مكبَّلة بجنازير الهذيان

ومتوجعة بشموع الحزن النازفة

قطرات حارة تذيب رشدك النائم

من يدلني على أسباب سرحان شموعي

المولعة بك؟

زعمـــــــــــت

أن الطيف والنجمة وصفة للبقاء!

وملذة الطمأنينة ورداء الوفاء

وزعمت أن الليل ستارة اللهفة

وملاءة العشق المكون من مسامك!

فحسبت أنا

أن الماء... ماء

لكنه على ما أظن أول المنفى....

فاكسرني بالظمأ

قلة الوفاء تشبه

الوريد الذي انقطع عنه نبض القلب

فجف من قلة الدماء

ويشبه حلمًا مقطوعًا في أوله

وقطيعة باردة من نار

وجمـــــــــــــرة

وتفاهة الأسباب

حينها مر بي الوفاء ذات مساء

بكى وغادر...

ثم عاد ليقول

دمرني وجه الطيف الهارب منك

طاف حولي... قرأ فاتحة الانتباه

وسقاني برشفة ماء

كان يعذبني بلا ضمير

ذاك المســــــــــــاء

تسللت إلى دفاتري

واسترقت أوراقي القديمة

ودونما إذن عبثت بكل سطر فيها

داعبت أحرفي الحيرى بها حينها

استيقظ الطفل بداخلي وبدأ يلهو من جديد

وامتطى صهوة القلم ليرسم معالم عشق قديم

ودونما اهتمام استمر في التلوين

وقبل أن يبرز الذكرى بحبره

رفض طفلي الانقياد

كثيرًا ما كنت أتساءل

لماذا يمر الوقت بتثاقل

وكأن عقارب الساعة ترفض أن تدور؟

ولماذا كل هذا الخوف بداخلي

من أن أنسى ملامحك؟

وذلك الفزع بداخلي

من أن يصبح غيابك حقيقة

على أن أتقبلها....

لماذا هذا الشعور بالتردد

بعد أن رحبت بفكرة رحيلك؟

مشاعر وخلجات متضاربة

تجعلني أترنح كالبلهاء

ما بين التقبل والرفض

وها أنا ما زلت أسأل نفسي

هل سأصمد حتى النهاية؟!!

وكل ما حولي يذكرني بك

حتى أطفالي يحملون ملامحك

فصول السنة تقاسمت جميع حالاتنا معًا

قلبي المتخم بك

حينها فقط

أصبحت القصائد تتباهى...

تتسرب ظلًّا من عروشك...

تفيض حلمًا بالحروف...

تمتلئ بعبق الكلام

حتى تشعر بلذة الارتواء

حينها أحس بنبضك الخيال

صهيل فارس يهوى سماوات بَوحك

ليعانق عطرك المعتق

في فضاء غسق يهيم به الوريد...

الهـــــــــيام

يا سيد العشق

في أزقَّة الحروف

ينتشي من إحساسك

المذوب بالتمني

وأنا أحس نفسي

منسية في محرابك

أختلط مع طقوسك

وتضاريس هواك

حتى فصول الامتلاء...

أنا

لست أنا دونك

سوى ظل وهم يتجاوز البحر

والنجوم، ويتشكل ككائن مفقود

بين الفراغ والجمر...

يا شكل النهر في خطوة تعاريجها

روحي وقبيلة حب تعانق حبيبًا

بسواقي ماء العين

يضم ضلوعه

بتناقضاته الغبية

وخفقة قلب تركض...

وتعشق مساءك...

فأكسر يا بقعة الضوء الأسى

والحزن المعتق في دمي

هرب روحي إليك

حتى أصير داخلك

وبوصلة الهذيان

ومسافات تفقدني عقلي

تمد حولي المد والجزر

أفقد اتجاه الريح

ومكان الذاكرة

وحبك يلهيني

يعميني

يشغلني

عن قبض نهاياتك...

أيها العابث بكل تفاصيل وجداني

كل الأشياء تذكرني بك...

فكسر المطر المحروم من الماء

وعيناك الغدير المغرور

على حافة ارتحالي العطشى...

بتُّ مهزومة

منهكة

رهينة المحاولة

نحو الأفق المزروع بداخلك

وأضحيت بتجمد مذبوح

أناديك بلا صوت أو وعي!!!

ألهمني القليل من تبعثري

الموجع بمرورك الدفء

باختلاطك المجنون

والمفقود تحت جلدي...

كي أشعر

بأن هناك من يشاركني دمي؟

أرجـــــــــــــــــــــوك

اقلب الأوراق خلف النوافذ المؤصدة

علمني أن الأماكن والأزمنة

لا تشبه انكساراتي

فلدي من الندم ما يكفيني

وأصبح الجرح يلبسني كالوجع والحصار...

يا مرتل تلاوة وميض الأشواق

بيني وبينك الروح كالمدى

تكتفي بالعصيان

والمنافي

لنخفي الخطايا

الاعتراف يا سيد الوقت

أني أحـ.....................ـبك

وسوف أعيشك ما دمت في عروقي

ولن أكتفي بالموت فيك

أو حتى الهذيان بك

ما دام قلبي ما زال

يركض نحوك كالطفل...

عندما التقيتك آخر مرة

بعد ذلك الفراق الطويل

قرأت في وجهك ما هز أعماقي

وأثار في شجون دفينة

إنها الروح

التي تتلاشى كل ليلة

في طيفك المتنائية

ثم تتكاثف كسحابة وَهْم تطل

من شرفات الخيال الملوث بك

لكي ترنو نحو

مسوخ أحلام تتآكل

بحضورها أنحائي؟

قـــــــــــــــــال لي:

لماذا غاب عني وجهك

الذي لطالما كان يقيني

حوافر الوحشة الحادة؟...

ولم يعد يتبقى لي من وِجودك

سوى ذلك الطيف

الذي تعلم منك كل فنون الغياب

ما عدت أقـــــــــوى

فلكم مزق الأسى

أوراق قهوتي

التي زرعتها

تيمنًا بوجودك لدي

ولكم لدغت اللوعة قلبي

حين أيقنت

أن الذكرى أمست

الصلة الوحيدة بيننا...

لَمَ يا قلبي أسكنتني فسيح أناتك؟!!

فها هي روحي

ما زالت تركض

صوب سراب الذكريات

المعدوم النهاية...

تبحث عن دفء أيد ذبلت بصماتها بداخلي

وعن وجه تاهت

في مقلتي ملامحه....

أما ذاك الجسد المترنح على حافة

الانتظار...

أصبح شكله كشجرة نحيلة فوق تل أجرد

شجرة تقاوم الجفاف

بعد أن هاجمتها رياح هوجاء؟؟!!!!

باغتتني في لحظة سهو مني

فتزاحمت الأحرف

وتراكمت فوق بعضها

حين كتبت لي تلك الرسالة...

فرحت ولكني ترددت في العودة لقراءتها

أو حتى تبين أن كانت كما أظن...

استجمعت شجاعتي

وتلمست الرسالة التي حملتها إليَّ...

حبست أنفاسي كي لا تعرف بوجودي هناك

وهددت قلبي كي لا يوقظها....

حروفها تشبه طعم النافذة

ورائحتها لها نفس الملامح...

أغمضت واقتربت في وجل

شعرت برهبة الخائف

وارتجاف الموجوع وتنهُّد المحب....

لامست أطرافها بقلبي

وتوسلت السطور

لتعيد إليَّ ما فقدته بعد رحيلها...

بكيت دون دموع وصرخت بلا صوت....

لكني ملأت جَرتي من نداها

وخبأت الجرة بين شراييني وركضت....

ركضت مسرعة....

أغلقت الباب خلفي

وفي خلوة مني أخرجت الجرة....

جردتها من ندوبها

وجذبت البوح منها لففته بذراعي...

احتضنته بجنون الملهوف

وبكيت على صدره بخوف....

قبلت ثناياه بولهٍ يشبه إحساسي

وتحسست موضع الخطى المزروعة فيها....

والقلوب التي سكنت زواياها...

الأفراح التي دفئت أركانها

والدموع التي سكبت على حيطانها ذات مساءات.....

وحتى من فقدناهم هناك

وما زال عبير خطاهم فيها....

وتلك المشاكسات الشقية....

أما جنون الحرف المنقوش حولها

همس لي وأخبرني بسره

ضحكت تارة وبكيت الأخرى...

جذبته إليَّ وابتعدت عنه...

تصادم موجع هو إحساسي بالشوق

ولهفة العودة.... وَجد واحتراق.....

أشتاق فعلًا لداري بينكم....

شيخ العرب جيلاني

لن تستطيع أن تتخيل مدى سعادتي برسالتك

وكم أتوق لكل الأهل والأصدقاء

في تلك الدار العامرة التي شهدت طفولتي وشبابي....

همس جيلاني

النافذة نبض شرايين تتماسك

لتضخ الشوق في غربتنا

أو تضخ الغربة في شوقنا

لوطن أصبحنا نجهل تفاصيل

وجهه الملطخ بضباب الرؤية

وغياب الأصل

وطن أنهكته زبانية الموت

وذقون الضلال المكتنزة

ذهبًا ونساء وبيوت وضيعات

كلنا يا رزان نضرب في صحراء التيه

لا مال الغربة يغنينا

ولا فقر الوطن يدعونا

لمأتم موتانا ولعوز أطفالنا..

يموت الوطن أمامنا بلا وجيع

يواسينا ولا مغيث ينتشلنا

حتى من مطر الله...

هل أراد الله أن يزيد في تعذيبنا؟

أما أننا يئسنا منه

لأنه نسانا نموت

في أيدي الجلادين لا حول ولا قوة لنا

بالنافذة نناضل بالكلمة وهي أضعف الإيمان

فتكلمي يا رزان

وتكلموا يا أهل النوافذ الصامتة

ستنتصر الكلمة قبل السلاح

همست رزان:

طائر روحي.....

كم أشتاق لرفرفة أجنحتك

على ضفاف إحساسي المتلون

ببقايا ريشك المتطاير حوله

بإهمال يشبه خطواتك المبتعدة عني....

أتدري...

وأخيرًا صدقتك

حين همست لي ذات حرف

بأنك مخلوق من نار

وبأن نبضك من سعير متجمد الأوصال

يجهل كيف يلف الإحساس المتخم بي رغمًا عنك.....

أما زلت تمارس شعوذة الهروب مني

ونكران اختزالي بين مسامك

الموبوءة بي حتى الموت....

صدقني لا بأس في بعض الخطيئة

إن باغتتنا الشوق

ونحن نرسم على نواصي الابتعاد

خطوات تشبه حضورنا المدوي....

أغمض عينيك

وتخيل معي بأن الرحيل زجاج...

اكسر أطرافه بهمسك

دون الاقتراب حتى لا تؤذي أنفاسك...

وشق إليك رداء البُعد

حتى أدنو منك بوجع يشبه اختناقك بي....

هل فعلًا تجردت مني؟

وزرعت ألف شوكة تدمي قدم الشوق

الهارب مني

ثم سكبت السم على شقوق الانتظار؟

لا ترهق نفسك....

لن آتي.....

فتمسَّك بحوافر خيلك

وتشبَّث بكل قواك

كي تمنع خطوات تشبه طيفك

تسترقُّ النظر كل مساء........

همس جيلاني:

فقدت القدرة بعد غيابك يا عصفورتي

ولم تعد أجنحتي المتلونة...

بريش هذا الزمن الذي فقد عقارب ساعته

وفقد رنين أجراس معبدك

المتاخم ضفاف نيل سئم مجراه

ودمر أطرافه بلا رحمة

أنا بدونك بلا أجنحة

أعيريني بعض أنفاسك لأطير إليك

المعبد بدون أجراس الآن يا صغيرتي...

كيف أتعبد في محرابك المحاط بخريف الأمطار...

أسرعي سفينة نوح تعبر شوارع الخرطوم...

لا تجلسي مع ابن نوح وصحابه... فهم كفار

أنا في السفينة أنتظرك... بإيماني ورزاني

كيف نعيد الإنسان

بكل خطيئة نعرفها

في يوم كنا نسترق السمع

والناس نيام

أنا متمسك بخشب السفينة

وحوافر خيلي

مُسحت في رمل الشاطئ

قد أهرب منك

لو أوقفتِ محركًا في أثقف ناري

المكوية من حرف الشوق المكتوم

زجاجي يتكسر

منذ ظهورك من مجهول الوقت

الراحل عبر مجرتنا

أســـــأل

أين الألواح

وأعواد الصندل تحتفل مساء اليوم؟

تبعثر في حاسوبي كل ملفات نوافذنا الليلية...

سأنتظر في شاطئ نيلي

شراع رياح الأمل وأحلم بالنجم الثاقب

همست رزان:

أفلت إحساسك للمجهول...

وتجرد من تلك الأثقال...

اسلخ جلد البعد القاتم

وارمِهِ في قاع الجب...

املأ روحك مني

واحبسني في صومعة النبض الهادر.....

دعني أتسرب فيك كما الأنفاس...

لا تتململ وترجل

عن ظهر الوجع الجاثي على صدرك....

احملني وارحل....

نحو الغيم الباكي ليلًا....

وأغلق خلفك أبواب الحبر الدامي....

رتل صلوات العشق بقلبك...

لا تكتمها واخفض صوتك

كي لا توقظ أوجاعي بعدك....

اصمت برهة......

واتلُ على طلاسم شوقك...

يصحو شيطاني من غفوته

ويتمتم بغباء مزعج.....

اعذره...

شيطاني أحمق....

يكره رائحة الصندل....

ودواء العشق المثلي

وبقايا السكر في فنجانك.....

شيطاني أحمق.....

يمقت صبري...

ورزاز الحبر العالق بين مسامي...

همس جيلاني:

لا تلقي باللوم

وكيف سأقدر أن أحبس عصفور اللجنة

وأحمل في رئتي من أنفاس الأنهار الأبدية

صوامع عشقي المنسلخة

من نعل الأسطورة بعد غياب التوراة....

دعيني أتململ...

الدرب طويل

والمطر النازل من أوراق الشمس تجمد

هل بين يديك صغار عصافير

تلهمني نور الأجنحة المكسورة

في تاريخ الغربة؟

هل جذع النخلة بعد مَخاض

يسقط رطبًا لتعيشي...

يا عصفورة أيامي وبعض الحبر السري

المكتوب بوقع سيول الأمطار...

نعم... سأحملك وأرحل...

لكن طبيب الأعصاب

سيهدم حائط مبكى أيامي

يهدد تفكيري ويمزق أوراق جوازي...

ويقتل شيطان هواك المتمرد

سأسكر... سأسكر... سأسكر

ما دام هناك الليل طويل

وأنتظر وصول العصفور

وأرقص رقصة زوربا بساق واحد

سأبدل جلدي كالأفعى

حين تحيط بها أساطين عناكب يوم الحشر....

من أجلك يا عصفورة أحلامي

خلف الأبواب

سفينة نوح تنتظرك

في شاطئ نيل آخر

همست رزان:

يا لجبروت أنفاسك....

أتذكر

حين حادثتني ذاك المساء رغمًا عن عنادك...

حينها كنت مستمعًا من الطراز النبيل

وكنت أنا اتحدث بغباء يشبه لهفتي الحمقاء....

آكل الكلمات وأنسى أن أتنفس

بين الحرف والحرف...

أسابق الساعة كي لا يحين موعد الوداع....

ولم أنل منك سوى سماع أنفاسك المشتاقة

وأنت تراقب صوتي المجنون

عبر ذاك السلك الأحمق الذي ربط بيننا رغمًا عنك......

أتدري.......

تلك الليلة عرفت بأنك مسكون بي...!

من صمتك الدافئ.....

ورائحة عطرك

التي فاحت على زوايا اسمي

فتدفقت على أطراف أصابعك

حين احتويت السماعة....

وعيناك المغمضة كي تتشرب

بالإحساس وتتشكل على هيأتي....

كل تلك التفاصيل المسكوبة

على حافة الذاكرة

تشبه تعلقي بك رغم نكرانك المتجبر.....

همس جيلاني:

صباح القرب أيتها النائية عني

رغمًا عن أنفي المندس خجلًا

بين أنفاس تاريخ الغربة بعطر أعرفه....

صباح يشتعل من البوح المتأصل

والمتأرجح على ثنايا عشق

يتهرب من سجن نخيل النيل...

صباح دافئ يصر على بوابة عبد الغيوم

أريكة بوحي......

صباح أشعلني برائحتك

كلما حاولت تثبيت خطواتي

المقتربة لأنفاس الماضي فيك....

يا لك من مهاجرة

تسافر بقلب يعرف أين النبض يعود....

وأين الصندل...

لا أتذكر

هل كان مساؤك ذاك اليوم؟؟!!!!

رغم صباحك ينعشني الآن...

كنت أنادي.....

هجرتني بالعشق الرعدي بلادي...

في تلك الساعة من ساعات النيل...

ومن قلب خريف الغضب المتسامح ليلًا....

الكلمات كعلبة حلوى التهمت شفتاي

وشفرات البوح باسم لميس....

أين لميس الآن؟!!!...

الساعة دون عقارب

فلا سم يفسد موعدنا

ولا نعرف موعدًا أصلًا

ولا نعرف أي وداع....

ومنك سوى الصمت

وعطور الغربة

لم أسمع أنفاسك

وكنت كصوتي المجنون

أعبر بدون الأسلاك جحيمي المشتاق

الذي يفصل بيننا أطول سنة كونية......

لا أدري.......

وعرفت بأني مسكون بالليل

وطليق في صبح لقاء...!

من خشب الغابات وحبي للأمطار....

همست رزان:

سكـــــــــــرات الشـــــوق!

من بين ثنايا أوردتي

التي لطالما اندسست بداخلها

أراك اليوم تتسرب مع نقاط الدم الشاحب

من طول غيابك..

ومن بين شقوق جدار ذاكرتي المرهقة

يخرج من حنجرتي المقطوعة

صوتي الموبوء بالبكاء

يخرج وهو مثقل القدمين

مبتور الذراعين

ومسكون بالأسى

ليتجول في غرفتك الصامتة

المعبأة بأوراق وبقايا دخان

ويهم بقراءة دفاترك شبه المحترقة

التي تركت أكبر شق على جدار ذاكرتي الهرمة...

وهـــــــــــــــا أنت

على بُعد دمعة مني

ضعت في زحام الذكريات

وضيعتني في زحام الحب الموبوء بالخذلان

فأصبحت أتوق إليك

عندما أرى وجوههم...

وأنـــــــــــــت أصبحت تتقن ارتداء قناع النُكران

وأنا أتوق إليك عندما أرى الخريف يزحف متكاسلًا

إلى أشجار قهوتي التي لطالما زرعناها معًا...

وأتوق إليك عندما أرى دفاتري

التي لطالما اخضرت بسيل حروفك العطشى

تحولت إلى أفرع غلفها النسيان

فتيبست شرايينها...

وأتوق إليك عندما يبسط الشوق عباءته

التي طرزنا خيوطها معًا ذات مساء..

وأتوق إليك حين تلفظ الشمس أشعتها الأخيرة

فيبتلعها بحر الفرقة

وأتوق إليك حين يجف فنجان القهوة

التي حضرتها وأنا بانتظارك قرب نافذتي

التي يرشقها الجليد

وأمشط طرق الحزن حين يأتيني السؤال

وها أنت

كأنك السراب على شرفات المدى البعيد

يتهامس مع ظلك المجهول

ولم يكن سوى حلمي معي

وفي قلبي يسكن العنكبوت اليتيم

وبين حين وآخر

يطل من شرفة الحنين المنهارة باحثًا عن أبيه؟

حينها ينزف قلبي من قواطع الفراق

ومن حنجرتي تعزف أنشودة الحزن التائهة بك ومنك؟؟؟

أتخبط كأنني أسيرة في شفق انهمارك بداخلي

وأترنح كأنني سجينة في خمر كلماتك

التي ما زال صداها يجوب بين حجرات قلبي

غير مدرك أنه قد وزع جنود احتلاله

في مضاربه وكل أوردتي راضخة!!!!

أحاول

كثيرًا وأستجدي صوتي

كي يخرج من قوقعة الصمت

المملوءة بأتربة الفراق المفقودة

في أقصى الشمال حيث قلبي المتوجع

بسبب نصلك الذي نسيت أن تستله

بعد أن زرعت له طريقًا في شراييني التي تمزقت

وتمرغت وتدثرت بالجفاف

بعد أن أفرغت الحياة إليك ونسيتني!!!!!!

عذارًا يا أنت

فقد توقف التنفس هنيهةً ثم عاد

عاد ولم يعد وحده

ولكنه جاء محملًا بأطنان من الشوق

المدجج بكل أسلحة العذاب، وأنا

كلما اتسع الشوق في رئتي

صار صفحة جديدة في كتابي المملوء بك.........

حينها أتكئ على غصن البن المزروع بداخلي

وأتنسم رياحين الحزن والعزاء المحترق...

وأجالس الليل فتختفي النجوم تعبًا من أسئلتي....

عليك.... ويلا غرابتها حين تختفي مني تسكنني؟؟!!

هكذا تمضي الثواني وأنا بانتظارك بين الجرح المفقود

وبين الشوق المكتسح

فيفقد المطر قطراته

وطعمه مع سحاب الخذلان.

ويتدثر الشوق الأبله ويموت بداخلي....

فأتقوقع أنا لأصبح لك مقبرة مسافرة............

فهرس





